آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة ٢٢، العدد ١، ربيع و صيف ١٣٤٠ هـ.ق، ٥٧-٧٨

مكانة المدينة من منظور المصادر الدينية الإسلامية

ستار خالديان*

موسى عربى**

الملخص

تعتبر المدينة بمعاييرها المتميّزة في المصادر الإسلاميةأرضيةً مؤاتيةً لوصول الإنسان إلى الكمال. ويحاول الباحثان في بحثهما هذا والذي يعتبر توظيفيّا في هدفه ووصفياً تحليلياً من حيث المنهج، تسليط الضوء على مكانة المدينة من وجهة نظر المصادر الدينية خاصة القرآن الكريم، لأنه طالما لا يتم النظر إلى المدينة من هذا المنظور فكلّ تخطيط وتعريف عن المدينة للوصول إلى المدينة المنشودة لايجدي وبالنظر إلى أنّالإسلام قد وضع أحكام لكل جوانب الحياة، وأنّ القرآن هو تبيان لكل شيء فالباحثان حاولا أن يبحثا عن هيكلية المدينة التي يؤكّد الإسلام عليها ويبيّن كيفية تقييم القرآن مكانة المدينة المنشودة وما هي معاييرها المؤيّدة.و توصلت النتائج إلىأنّ المدينة من منظور الإسلام تحظى بمكانة مرموقة ورغم أن القرآن لم يتناول خصائص المدينةوأفضيتها وبناها بشكل مباشر ، ولكنّه يشير إلى كثير من خصائصها وأفضيتها وبناها بشكل غير مباشر فمن هذا المنطلق يمكنترسيم وتعريف المدينة الإسلامية كما يجب الانتباه أنّ المصادر الإسلامية

* استاذ مساعد في قسم علم الآثار بجامعة الفن في شيراز (الكاتب المسؤول)، S.khaledian@shirazartu.ac.ir
** أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامة شيراز، moosaarabi@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٣٩٨/٠٣/٠٢، تاريخ القبول: ١٣٩٨/٠٥/٠٥

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

ترسم العلاقات الداخلية للمدينة والقضايا الإنسانية وذلك أكثر أهمية من الصورة وهيكلة المدن كما تؤكّد على البنى الاقتصادية، والأمنية، والعدالة من بين البنى السائدة على المدن بمعناها العامّ.

المفـردات الدليليـة: المدينـة، الإسـلام،هيكلية المدينـة، القضـايا الإنسـانية، الاقتصاد، الأمن والعدالة

١. المقدمة

١.١ مسألة البحث

بما أنّ القرآن الكريم بوصفه المصدر الديني الرئيس للمسلمين، يقدّم لنا الإسلام ديناً يشتمل على أحكام لجميع فترات الحياة البشرية [١]وهو قادر على توجيهه طوال الحياة نحو الوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية وبلوغ المدينة الفاضلة، وكذلك لأنّ هذا الكتاب المقدّس يؤكّد على أن تنفيذ تعاليم الدين هو مصدر السعادة والكرامة الدنيوية للإنسان، وعدم اتباعها سيسبب في خسارة الدنيا والآخرة [٢]، فمن البديهي أن هذا الدين يحوي بشكل مباشر أو غير مباشر بعض الإرشادات والأوامر القيّمة فيما يتصل بمجالات المدينة والحياة المدنية أيضاً[٣]. (أنظر تفسير قرائتي لسورة الإسراء الآية ٧٢ (قرائتي،١٣٧٨: ٤٧٤) وتفسيره للآية ١٤٣ من سورة البقرة[٤] (قرائتي، ١٣٧٨: ٢٢١).

إستناداً إلى الآيات الكريمة المذكورة أعلاه سيحاول الكتّاب تبيان دور ومكانة المدينة من وجهة نظر المصادر الدينية الإسلامية وخاصةً القرآن الكريم، ومن منظور أخر نبيّن في بحثنا هذا أن أيّ الجهة من هيلكيّة المدينة نالت اهتمام القرآن الكريم أكثر من غيرها فيمكن القول بأنّ هذا البحث لم يدرس خصائص تاريخية وتقليدية للمدن في العالم الإسلامي كما فعل الباحثون الأخرون بل قدّم رؤية عامة وشاملة عن المدينة فتؤدّي إلى الفهم الصحيح للمبادئ الدينية التي تنظّم تشكيل المدن، كما أنه قد يكون مفيداً في التخطيط لتنمية المدن الإيرانية اليوم.فيعني ذلك أنّه لايمكن ترسيم خطة مناسبة من المدينة الإسلامية دون اهتمام بأسس إسلامية.

٢.١ أسئلة البحث

١. كيف يتم تقييم وضع المدينة من وجهة نظر المصادر الإسلامية؟
٢. أيُّ من هياكل المدينة ركّزتالمصادر الإسلامية عليها أكثر من غيرها؟

٣.١ خلفية البحث

هناك بحوث عديدة في مجال المدن في العصور الإسلامية لفتت انتباه الباحثين وربّما لايمكن اعتبار ماكس وبر، عالم الاجتماع الآلماني (١٨٦٤-١٩٢٠ م) كأوّلباحث غربى قام بدراسة مدن آسيا والشرق الأوسط ولكن منهجه عند البحث في هذا المجال رسم خطة لدراسة المدن في الفترة الإسلامية وتشكيل مفهوم المدينة الإسلامية (وبر، ١٣٩٠ش)

وفي بداية القرن ٢٠ تم ترسيم نموذج عام وبلازمان من مدينة العالم الإسلامي بعد دراسة المدن في شمال افريقيا مثل المغرب، وسوريا، والجزائر وصار هذا النموذج بعد عشرة خمسينيات القرن الماضي وخاصة في بداية عشرةستينيات موضع النقد والتعديل الجادّ.

ثمّ قام باحثون آخرون مثل رودنسون ببحوث حول المدينة الإسلامية وهو كان يرى بأن الإسلام وأحكامه لايؤثر في المدينة مباشرة بل المؤشر الاقتصادي يترك تأثيراً عليها كما تؤثر القوانين الإسلامية على الاقتصاد. (رونسون، ١٣٥٨ش).

كما يذهب استرن إلى أن بناء الحياة المدنية في فترة الإسلام هو استمرار لما قبله ولم يفتّت الإسلام بناء الحياة كما كان قبله ويعتقد أيضا أن الحياة في فترة الإسلام اتسمت شكلا وصورة بشكل عام سمة إسلامية. (استرن، ١٩٧٠م).

ومن الباحثين الآخرين هو لابيدوس حيث أشار إلى تأثير نظام المجموعات الرئسية على بناء المدن الإسلامية (Lapidus:1969).

و موريس يقسم العناصر المؤثّرة على المدن الإسلامية إلى قسمين: الف) العناصر الرئيسة مثل الطبيعية (توبوغرافي، الطقس والجو، مواد البناء) والعناصر الإنسانية ب) العناصر الفرعية المستخرجة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية (Morris, 1994).

وصالح هو باحث آخر قام بدراسة تأثير الإسلام على المدينة فيرى بأنّ المفهومين العناصر الثابة مثل الأحكام الإسلامية (الشريعة) والعناصر المتغيرة مثل القوانين السائدة (العرف) و الطاقات الطبيعية يتركان التأثير على المدينة في فترة الإسلام. (Saleh, 1998).

ويمكن الإشارة إلى الباحثين الآخرين الذين درسوا في هذا المجال مثل حكيم (Hakim,1986)، رايموند (Raymond,1994)، حسلول (Hathloul,1992)، بيانكا (Bianca,2000)، اكبر (Akbar, 1988)وحوراني (Hourani.1970) .

ومن الباحثين الإيرانيين في مجال المدينة الإسلامية يمكن الإشارة إلى باقري (باقري،١٣٨٦ش) بورأحمد (بورأحمد،١٣٨٩ ش) عليزاده ونقي زاده (نقي زاده ١٣٧٧و١٣٨٣و١٣٨٩).فجلّ بحوثهم يتعلّق بالمدن الإسلامية التقليدية وإن حاولوا استخدام مصادر إسلامية ولكن لم يشيروا إلى أيّ أساس نظري ديني لاسيّما القرآن الكريم. وفي عدة بحوث أخرى يمكن مشاهدة التأكيد على الأصول القرآنية لترسيم صفات المدينة الإسلامية من منظور القرآن ومهنم نقي زاده فيشير إلى مؤشرات للمدينة ولكنّه أشار إلى أصول لها علاقة ضئيلة بهيكلية المدينة الواقعية (نقي زاده، ١٣٧٧ش) فيحاول الباحثان في هذا البحث سدّ الفراغ الموجود حيث يقدّمان رؤية شاملة وجامعة تفوق الزمن والمكان الخاص للمدينة كما نرى في البحوث السابقة والهدف النهائي لبحثنا هذا ترسيم مبانٍ وأصول شاملة للمدينة الإسلامية ليقوم منهدسوا المدينة بتخطيط مشاريع جديدة في كلّ مكان على أساس ظروف زمنية مناسبة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٤.١ منهج البحث

والبحث هذا يتخذ هدفا توظيفيّا بناء على المنهج الوصفي – التحليليحيث حاول الباحثان التتبع في المصادر الدينية خاصة القرآن ويدرسان الآيات والروايات التي تتلعقان بموضوع المدينة مباشرة أو ضمنا فقمنا بدراسة مكانةالمدينةمن منظور القرآن ثمّ تم تشريح وتوصيف بنى المدينة من منظور الإسلام.

٥.١ الإطار النظري

ينبغي القول إن مصادر النظرة الكونية الإسلامية قد عدَّدت خصائص وظروف خاصة للمجمعات البشرية. فإذا كان الغرض هو خلق بيئة تقوم على مبادئ وقيم الإسلام ومناسبة لبيئة المسلمين، يجب حينها بطبيعة الحال استخلاص الأسس والمعايير النظرية استنادا إلى المصادر والنصوص الإسلامية.(نقي زادة، ١٣٨٨: ٦) ويجب أن نعرف أن النظرة الكونية تستتبع الثقافة الخاصة بها، وأن ما يصنعه الإنسان بيده هو نتاج نفس النظرة الكونية أيضاً. والدين الإسلامي باعتباره الدين الإلهي الأسمى والأخير ليس يستثنيمن هذا الأصل. ونتيجةً لذلك، فإنّ الدين هو مصدر إيجاد التباين والاختلاف في أماكن مختلفة. (المصدر نفسه: ٢٨) وفقاً لهذه التفسيرات، فإن الدور الرئيس للدين كمصدر للعديد من المدن الإسلامية هو أمر لا يمكن إنكاره، وكما هو حال العوامل الأخرى الموجدة للمدن، يلعب دوراً رئيساً في تشكيل المدينة وتنميتها. (بابلي اليزدي وآخرين، ١٣٩٠: ١٤٣) ولأنّ في تصميم وإنشاء وإدارة واستمرار أي شيء هناك حاجة إلى أساسيات، وأركان (المكوّنات الرئيسة التي إذا فقد أيّ مكوّن منها فستكون إمكانية ظهور ذلك الشيء منتفيةً) ونموذج (النمط)، وصفات ومظاهر وتجليّات، فإنّ المدينة أيضاً لها مبادئها وأركانها وسماتها الخاصة، والتي ستكون مصادرها وتعاريفها ذات الصلة في كل ثقافة وحضارة. وهكذا فإن تحديد هذه المواضيع المرتبطة بكل شيء هو شرط أساسيّ، والمدينة ليست استثناءً أيضاً. (نقي زادة، ١٣٨٩: ٢)

إبن خلدون أيضاً وإلى جانب اعتباره أنّ الإنسان ذو طبيعة مدنية، يعتقد أنّ الإنسان ملزم بتشكيل المجتمع، مشيراً إلى دور الإسلام وأهميته في تنمية المدن وتطويرها. (ابن خلدون،١٣٩٠: ٧٧ و٢٨٩) ولأنّ الإسلام ليس معتقداً إيمانياً وروحانياً فحسب، بل يقدِّم أسلوب الحياة لأتباعه (الباقري،١٣٨٦: ٢٥)، وهذا الأسلوب يشمل جميع جوانب الحياة البشرية، فإنّ القرآن الكريم أيضاً يعتبر مصدراً أصيلاً ومركزياً لتبيان خصائص الحياة المطلوبة، وخاصةً في سياق المدينة المثالية. فالقرآن الكريم هو البحر اللامتناهي الذي استفاد المسلمون من بركاته على مرّ الزمن، ولم يتعرض بأيّ نقصان حافظاً على نضارته وجدَّته.(غني زادة، ١٣٨٥: ٢٠٠) ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في سورة الواقعة الآية ٧٧

"إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ" وكذلك الآية ٧٨ "فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ"، فعلى المسلمين أن يستفيدوا من كرامة وعطاء القرآن الكريم ولا يتركوا هذا الكتاب مهجوراً.

فلا شك أنه يتوجب على المسلمين أن يتأملوا في القرآن الكريم وغيره من المصادر الدينية ويسيروا نحو إنشاء المدن الإسلامية التي أخذت مبادئها ومعاييرها من هذه المصادر الإلهية.

٢. مكوّنات المدينة في ضوء المصادر الإسلامية

من الناحية الكمية، تكررت لفظة المدينة" أربعة عشر مرة° وينبغي القول أنّ بعض الآيات قد أشارت إلى مدينة محددة (ذكر الاسم الخاص) (سورة يونس/ ٩٨) وفي آيات أخرى لم يرتبط الموضوع الرئيس ورسالة الآية بأي من معالم المدينة (مثل البقرة ٢٥٩ والأنعام ١٢٣ والأعراف ٤). كما تعلقت بعض الآيات الأخرى بإحدى خصائص المدينة والمراكز السكانية مباشرةً.

في هذه الأثناء تمت الإشارة إلى لفظي (البلد الطيّب) و(البلد الميّت): البلد الطيب هو مدينة تتوفر فيها الظروف لحياة المواطنين وارتزاقهم. (لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، راجع تفسير النور الذي يقول في هذا الصدد: إن نزول الرحمة ليس كافياً للسعادة؛ بل هناك حاجة للقابلية وقدرات المكان أيضاً. (قرائتي، ١٣٨٧: ٨٦)

في هذا الصدد، يقول الله سبحانه وتعالى في الآية ٥٨ من سورة الأعراف: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ.﴾.

وبالنسبة إلى المدينة الملوّثة، استخدمت كلمة "البلد الميّت"، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في الآية ٥٧ من سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وكذلك في الآية ٩ من سورة الفاطر:﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾.

وأيضاً في الآية ٤٨ و٤٩ من سورة الفرقان: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا. لِّنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا.﴾

والآية ١٥ من سورة السبأ:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

بشهادة الآيات المذكورة أعلاه، يمكننا أن نقول إنّ المدينة الميّتة هي مدينة جافة وغير منتجة ولا ينمو فيه النبات إلا قليلا، والمدينة الطيّبة هي الوحيدة التي يمكن أن نرى فيه الحيوية الطبيعية ويستطيع الناس أن يستفيد من فوائدها، وخاصةً الجوانب الاقتصادية.

ولكن اللافت للنظرحين دراسة الآيات القرآنية هو الفرق بين كلمتي القرية والمدينة. فعلى سبيل المثال نلاحظ في الآيات التالية:

يقول الله تعالى في الآية ١٣ من سورة يس: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. ثم يقول عز وجلّ في الآية ١٩: وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

تتحدث الآية الأولى عن إرسال رسل الحق إلى الناس غير المؤمنين، ولذلك استخدمت كلمة "القرية" لمكان إقامتهم. ولكن في الآية ١٩ ولأنّها تتحدث عن مجيء إنسان مؤمن يعيش في ذلك المكان، فقد أطلق على المكان اسم المدينة. (مصطفوي،١٣٦٠: ٢٥٤)[٦].

وفي الآية ١٢٠ من سورة التوبة يقول الله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.﴾

نفس هذه النسبة قد وردت في سورة الكهف أيضاً، عندما وصل موسى ومرافقوه إلى منطقة رفض الناس فيها استقبال هذين الوليين الإلهيين، لذلك أطلقت لفظة القرية إشارةً إلى تلك المنطقة: فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. وفي آيات أخرى من القرآن الكريم بما في ذلك الآية ٧٥ من سورة النساء نقرأ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

كذلك في الآية ١٦٣ من سورة الأعراف: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. وأيضاً الآية ٧٤ من سورة الأنبياء: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾. هنا أيضاً حيث يتعلق الحديث بماضي أناس فاسدين يُنسب إليهم الخبث، أطلقت لفظة القرية على المكان. ونرى في الآية ٤٠ من سورة الفرقان أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

إذاً ربما ليس مستبعداً أن نقول واستناداً إلى الآيات الكريمة أعلاه، إنّ المدينة والتحضر يعتمدان على إيمان الناس وأفعالهم ومن واجب المواطنين الجهاد في سبيل الله وتجنب الظلم، فضلاً عن واجبات المواطنين الأخرى مثل مساعدة الفقراء والمساكين وعدم القيام بأية أعمال قبيحة.

وقد يمكننا الخروج بانطباع بأنّ القرآن الكريم وفي إشاراته إلى المراكز السكانية يهتم إلى باطن المدينة والمواطنين وروحهما أكثر من الإشارة إلى الخصائص الفيزيائية والمادية، لذلك حيثما جرى الحديث عن هلاك القبائل والظلم والاضطهاد، استخدم مصطلح "القرية". ولكن المكان الذي يتواجد فيه الأنبياء والمؤمنون، قيل له المدينة، والمكان الذي خلا من الرسل الإلهيين أطلق عليه القرية. وهذا التنقُّل نفسه بين القرية والمدينة كما سبق شرحه في الآيات المذكورة أعلاه يجب اعتباره دليلاً على هذا الادعاء. لأننا نعرف أن هناك فرقاً كبيراً بين القرية والمدينة من حيث التسلسل الهرمي الحضري والحجم المادي والمركزية. والسبب الآخر لهذا الادعاء هو استخدام كلمة أم القرى لمدينة مكة المكرمة، ونحن نعلم أن أهميتها ليست محدودةً في حجمها المادي. (في هذا الصدد، يمكننا أن نشير إلى الآية ١١٢ من سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.يقول قرائتي في تفسير هذه الآية:إن

الفقر الاقتصادي وانعدام الأمن الاجتماعي هما دليل على تجاهل المجتمع للمبادئ الدينية، «فكفرت ... فأذاقها اللّه لباس الجوع والخوف» فالأمن والسلام هما على رأس النعم ويوفران الأرضية لتوسيع الرزق والاقتصاد في المجتمع.«آمنة مطمئنة يأتيها رزقها» (قرائتي، ١٣٧٨: ٥٩٠) (انظر مكارم شيرازي ،١٣٨٧:٤٦٥)،(العامري،١٣٩٠ :١١-١٢).

١.٢ أهمية المدينة من منظور المصادر الإسلامية

إن كلمة "المدينة" تستمد جذورها من كلمة الدين، كما نفهم ذلك من الآيات الكريمة التالية، والدين له معانٍ مثل: الحساب، والحكومة، والشريعة، والقانون، والسيرة، والأخلاق، والتدبير، والسياسة، التقوى، والعبودية والطاعة. الأمثلة من القرآن الكريم هي: (سورة الحمد الآية ٤ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، سورة المعارج الآية ٢٦ (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ)، (سورة المدثر الآية ٤٦ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ)، (سورة الزمر / ٣) (سورة الحج / ٧٨) و﴿سورة الكافرون الآية ٦ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. إذاً ربما يمكننا القول إن المدينة لديها مفهوم قيمي وشامل يمثل قانوناً جيداً وسامياً وإدارةً جديرةً وموارد إنسانية متطورة ومطيعة في أمة أو مجتمع.

وبالنسبة إلى أهمية وجود المدينة من وجهة نظر القرآن الكريم، فيجب أن نقول إنّ القرآن يذكر لنا طريقتين للحياة، الأولى هي السكن في الصحراء والحياة البدوية، والأخرى هي الحياة المدنية والتحضر.(قرائتي، ١٣٧٨: ٤٩٠-٤٩١) السبب في رفض الحياة البدوية هو ابتعادها عن الحضارة والثقافة.يقول الله تعالى في الآية ٩٧ من سورة التوبة:الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَليمٌ حَكيمٌ. (قرائتي، ١٣٧٨: ٤٩٠-٤٩١)كذلك جاء في تفسير الميزان في شرح الآية ١ إلى ٦ من سورة يوسف:إن سبب انتهاء النعم على يوسف نفسه كان "لكي يأتي بأهل بيته من الصحراء إلى المدينة، وهناك منحهم العيش برفاهية في القصور الملكية. (تفسير الميزان،ج ١١)

في هذا الصدد أيضاً يقول الإمام علي (عليه السلام) في رسالة بعث بها إلى الحارث الهَمْذاني: «وَاسكُنِ الأمصارِ العِظام فَإنَّها جِماع المسلِمين.» (نهج البلاغة، الرسالة ٦٩).[٧]

كما يقول الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الصدد ما مضمونه: لا يصحّ إقامة الجماعة الأول: من يعاني من مرض البهاق، الثاني: الذي فيه مرض الجذام، الثالث: من ولد من الزنا، الرابع: الصحراوي والبدوي (البعيد عن الأدب) إلى أن يهاجر إلى المدينة، والخامس من جرى عليه الحد.(إبن بابويه،١٣٦٧،ج٢: ٣٣)ويقول الربيعة أيضاً: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما مضمونه: من كان معه خمس فلا عذر له في ترك أعمال الآخرة،الزوجة الصالحة التي تساعده في شؤون الدين والدنيا،والأبناء الأبرار،الحياة في مدينته الخاصة،الأخلاق التي يعايش بها الناس، وحبّ أهل بيته.(المجلسي، ١٣٧٨،ج١: ٥٧٣)

في هذا المجال، يمكن الإشارة إلى الآية ١٠٠ من سورة يوسف حيث يقول الله عز وجل في هذه الآية:وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا، وقال يوسف:يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.(لقراءة تفسير الآية بشكل كامل، أنظر تفسير (قرائتي،١٣٨٧: ٢٨٩).

كما يقول الإمام علي(ع) في هذا الصدد ما مضمونه: إنّ أفضل الناس بالنسبة لي هم المعتدلون، فاختاروه، واسكنوا المدن الكبيرة لأنّ يد الله مع الجماعة، واجتنبوا التفرقة والخلاف لأن المنفصل عن الجماعة هو نصيب الشيطان، كما النعجة المنفصلة عن القطيع هي من نصيب الذئب.(الحكيمي وآخرون،١٣٨٠، ج١: ٤٢٩) وذلك لأنّ المدن بإمكانها توفير مجالات أوسع لتربية الأولاد وكذلك تمنح مزيد من الفرص لممارسة التقاليد والسنن الدينية.

يتضح لنا من خلال دراسة وتفسير هذه الآيات أن المدينة في هذه الآيات والأحاديث تعتبر مجالاً مواتياً للتطور البشري. وهناكحديث روي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ما مضمونه: إن جميع الأراضي هي ملك لله تعالى، والعباد كلهم عباد الله، فاسكنوا حيث المكان الذي فيه سعادتكم وخيركم.(بايندة، ١٣٨٥: ٣٢٣) لذلك، يمكن للإنسان أن يختار المكان الذي يراه مناسباً ويستقرّ فيه شريطة أن يكون في ذلك خيره وسعادته.إذاً لن يكون بعيداً عن العقل بأن نقول إنّ الإسلام وفي سبيل تحقيق المثل العليا والأهداف والرؤية الكونية الخاصة به، يولى اهتماماً خاصاً بالمدينة ويميل نظامه الاجتماعي إلى التحضر.

٢.٢ الإنسان والمدينة

ويجب القول إنّ المدينة والتحضر لا يُفهمان من دون الإنسان، وفي الأساس يعتبر الإنسان جزءاً لا يتجزأ من العمارة والتحضر. وإثبات هذه العلاقة الواضحة ليس ضرورياً. فالعمارة والعمران ليسا من حيث المنشأ فحسب، بل من حيث الغرض أيضاً، لهما الطابع الإنساني.وبعبارة أخرى، إنّ الإنسان هو الأصل والموضع والغرض من العمارة والتحضر.ولكن لفهم أفضل لوجهة نظر الإسلام تجاه المدينة، يجب أن نعرف ما هو الهدف من وراء خلق الإنسان من منظور القرآن؟ في الفكر الإسلامي يجب البحث عن أكمل مرجع لفهم المعنى الحقيقي للإنسان، في القرآن الكريم إذ عندما يشير إلى كلمة الإنسان، الهدف من الإشارة هو الإشارة إلى وجود في شكل حقيقة سامية وله تعريف خاص يميزه عن المخلوقات الأخرى.سورة الزاريات الآية ٥٦:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.فالإنسان ومن حيث التفوقات التي أعطيت له منذ بداية الخلقة، مثل خلافة الله تعالى على الأرض،حمل الأمانة الإلهية، معرفة أسماء الله، كونه ثنائي الأبعاد في الوجود وفي نهاية المطاف إرادة الإنسان،له مكانة خاصة في نظام الوجود.المكانة التي تجعل الإنسان بسبب سمة الوعي الذاتي، الاختيار والإبداع النابع من كل هذه الفضائل، وإرادة الإنسان على وجه الخصوص، في موضع أفضل الكائنات الموجودة. وهو البناء الذي نتيجة امتلاكه لعوامل الجذب الروحية، العلم والمعرفة، الخير الأخلاقي، الجمال والتقديس والعبادة و ....، يوصل الإنسان إلى الكمال الذي يجعلهوحدهصاحب المعاني الجديدة. (لمزيد من المعلومات، أنظر الآية ٣٠ من سورة البقرة،[٨] وأيضاً الآية ١٦٥ من سورة الأنعام)[٩] (جيلجاني مقدم، ١٣٨٦: ٤٠-٣٨-٣٩)

بطبيعة الحال ينبغي القول إنّ هذا الأمن يمكن أن يحمل أبعاداً مختلفةً بحيث نرى في الآية ١١٢ من سورة النحل إشارةً إلى الأمن الكامل. ولكن النقطة الأخرى التي نلتفت إليها بعد دراسة الآيات هي الانتباه إلى معتقدات الناس بعد شعورهم بالأمن. ويجب القول إنّ الأمن له علاقة مباشرة مع معتقدات المواطنين.

٣.٢ مكوّنات العدالة في المدينة

الموضوع الآخر الذي ينبغي النظر فيه في مجال المدينة هو العدالة، ففي الثقافة الإسلامية هناك تأكيد من قبل الزعماء الدينيين على احترام المحرومين والمحتاجين، والتمييز بينهم وبين قطاعات المجتمع الأخرى أمرٌ مستهجن ومستنكر. ولذلك، فيما يتعلق بالتنمية المدنية وتوزيع الإمكانات والأماكن العامة لا ينبغي التمييز بين منطقتهم السكنية والمناطق المدنية الأخرى. (قرائتي، ١٣٩٣: ٩١) كما يمكن مشاهدة هذا الأصل المهم في أفضية المدن التاريخية في العصر الإسلامي بإيران حيث حاول المخطّطون أن يضعوا الأماكن المقدّسة والخدمات و الخ في متناول يد كل المواطنين وهذا كان يختلف عن العصر الساساني وذلك أن الأبنية المذهبية مثل المساجد الكبيرة، أبنية الخدمات مثل الحمامات بُنيت إلى جانب السوق في وسط المدينة والأبنية الخاصة السكن تحيط هذا المركز (أنظربابلى يزدي، ١٣٩٠: ١١٢) (قزوينى،١٣٧٣: ٢٤٦)

كما ذكر الإمام علي (عليه السلام) أن أحد أهداف الحكومة هو إصلاح ظروف الشعب وازدهار وتطوير المدن بشكل ملحوظ، حيث قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كانَ مِنّا مُنافَسَةً فِي سُلْطانٍ، وَلا الْتِماسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطامِ، وَلكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلاحَ فِي بِلادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبادِكَ، وَتُقامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. (لمزيد من المعلومات أنظر: نهج البلاغة، خطبة ١٣١) (نهج البلاغة، الخطبة ١٣١). وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ما مضمونه: إن أهل الكوفة أصبحوا يعيشون حياةً سعيدةً. أقلّهم مرتبةً يأكلون القمح، ويمتلكون البيت، ويشربون من ماء الفرات(العذب). (الحكيمي وآخرون،١٣٨٠، ج٥ ؛ ٢٧٠) إذاً إن تنفيذ القسط يعني أنه في إدارة المدينة، لا نتجاهل أياً من سكان المدينة ونقدِّم للجميع الحياة المريحة، بحيث يأكل أقلّ الناس مرتبةً القمح ويمتلكون البيت ويشربون الماء العذب،(أي نوفِّر للجميع الحياة الكريمة المقبولة في كل زمان).(المصدر نفسه؛ ٢٧٠) كذلك ورد عن الإمامين العظيمين – الإمام جعفر الصادق (ع) والإمام موسى الكاظم (ع) في توجيه إلهي ثمين يرتبط بتعريف العدالة، كلامٌ حول مقياس ملموس بطريقة واضحة ومثيرة للاهتمام، بحيث يستطيع أي شخص أن يحدد مع هذا

المعيار وجود أو عدم وجود المساواة بين الناس. وهذا المعيار الملموس هو عدم حاجة (غناء) جميع الناس (لأن كلمة "الناس" عامة)، وهذا أمر ينبغي أن يعرفه الجميع. فالعدل هو شيء إذا تحقَّق، لن يبقى هناك إنسان محتاج، وسيصبح الجميع في حالة غنى. إذاً يقول الإسلام: عش بين الناس وتفقَّد أحوالهم في الشوارع والأزقة والأحياء الفقيرة في كل مدينة، وافعل ذلك في القرى أيضاً – بل وحتى تفقَّد أوضاع الناس في بيوتهم – حتى إذا رأيت فقيراً هناك أو واجهت نقصاً تعلم أن هناك ظلماً واضطهاداً، وغياباً للعدل.(الحكيمي وآخرون، ١٣٨٠، ج٥؛ ٢٧٢) كذلك يقول الله تعالى في الآية ٩٠ من سورة النحل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

إن تأكيدات الإسلام الحاسمة وفي حالات مختلفة على أهمية القسط وضرورة إرسائه وتوسيعه في حياة الناس، تعتبر من أهم وأعمق ميزان هذا الدين المبين. لذلك، فمن الضروري أن يكون الهدف الأول والأهمّ في أية ثورة قرآنية هو إزالة الظلم المعيشي، ومختلف الاعتداءات الاقتصادية، وإقامة العدل وإحكام أصول القسط القرآني. بالطبع كما قلنا إنّ القسط والعدل يجب توفيرهما للجميع في كل الأجهزة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحكم المدينة، وأن لا يكون هناك فرق بين الناس في الوصول إلى خيرات المدينة. وفي هذا الصدد يقول الإمام علي (عليه السلام) عن الحياة في المدينة :«ليس بلدٌ بأحقّ بك من بلدٍ، خير البلاد ما حَمَلكَ».(نهج البلاغة، حكمة ٤٤٢).

٤.٢ مكوّنات الاقتصاد في المدينة

من النقاط الأخرى التي تم تناولها في المصادر الإسلامية هي المسألة الاقتصادية. قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما مضمونه: سعادة الإنسان في أربعة أمور: الأصدقاء الجيدون، الأطفال الصالحون، المرأة المطيعة، والارتزاق في بلده. (المجلسى، المجلد ٢٣: ٥٥) كذلك يقول الإمام علي(عليه السلام): الفقير غريب في مدينته.(حكيمي وآخرون، ١٣٨٠، ج٤: ٣٩٤) يبدو أنّ هذا الحديث يهتمّ بالاكتفاء الذاتي للمدن، فضلاً عن أن راحة الأفراد والأسر تتحقَّق في ضوء قرب مكان العمل من مكان الإقامة.

قال الإمام السجاد(عليه السلام) ما مضمونه: من سعادة الإنسان أنّ عمله في مدينته، ورفاقه صالحون يستحقون ولديه أبناء يستطيع أن يطلب منهم مساعدته.(إبن بابويه، ١٣٨٢، ج١: ٢٣٩) كذلك قال الإمام علي(عليه السلام) في هذا الصدد ما مضمونه: إنّ الفقر يجعل الذكيّ أبكم، ويسلبه البرهان، والفقير غريب في مدينته، وطوبى لمن ذكر المعاد، واستعدّ للحساب وقنع بما زرقه الله تعالى.(المجلسي، ١٣٧٨،ج٢: ٣٢٨) وفي هذا السياق، نرى توصيات من الأئمة المعصومين لمساعدة الفقراء وإيلاء الاهتمام بهم، فعلى سبيل المثال: قال الإمام الباقر (عليه السلام) نقلاً عن الرسول الكريم (ص) ما مضمونه: لم يؤمن بي من نام شبعاناً وجاره جائع. كذلك قال: لا ينظر الله في يوم القيامة إلى أناس بلدةٍ (مدينة أو قرية)، وصله فيه شخص ليله بصباحه وهو جائع.(الحكيمي وآخرون، ١٣٨٠،ج٤: ٥٤٧).

كما أولى الإمام علي (عليه السلام) اهتماماً خاصاً بهذا الموضوع عبر رسالة بعث بها إلى مالك الأشتر حيث قال: «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَوَأَهْلَكَ الْعِبَادَ».

وفي قسم آخر من الرسالة يقول الإمام علي عليه السلام : «فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣).

كما نلاحظ في الأحاديث أن الإسلام أولى اهتماما بالغا للقضايا الاقتصادية في المدن كما جاء في رسالة ٥٣ للإمام علي عليه السلام أنّ سبب خراب المدن هو الفقر والظروف الاقتصادية القاسية.

٣. الدراسة والتحليل

بادئ ذي بدء ينبغي لفت النظر إلى هدف نزول القرآن حيث يقول الله سبحانه تعالى في كتابه يسّرنا القرآن للذكر و هل من مدّكر كما يخرج الناس من الظلمات إلى النور ويجب الانتباه على

أن الإسلام خطّط أحكام وقوانين وبرامج لوصول البشر إلى السعادة حيث الالتزام بها وإمعان النظر في آيات القرآن يبيّن أن جلّ اهتمامها يكون بالإنسان وظهور الإسلام ليحقّق سعادته.

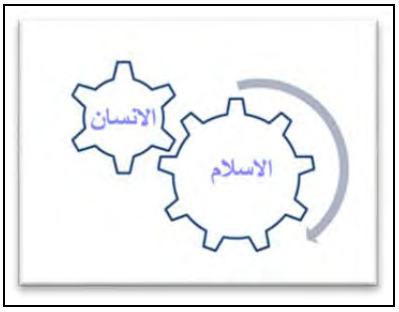

الصورة ١: تأثير الإسلام على الإنسان

وكذلك الباحثون يؤكّدون على أهمية الإنسان ومكانته في التعريف عن المدينة؛ وعلماء الاجتماع المدنيين يرون أنّ المدينة موضع إقامة جمع من الناس ومحلّ نشاطاتهم ويعتقدون بأنّ المدينة ليست البنايات فحسب بل دور ومكانة المواطنين في منظمات المدنية المختلفة يحظى بأهمية بالغة وكذلك يرون بأنّ أسلوب المواطنين في الحياة والثقافة السائدة لهم آلية مؤثّرة في المدينة. كما يجب الانتباه أنّ هناك عدد من الأبنية تحدّد كيفيّة المدينة. (أنظرلينش،١٧: ١٣٩٠) و (توسلى،٤: ١٣٧٤)

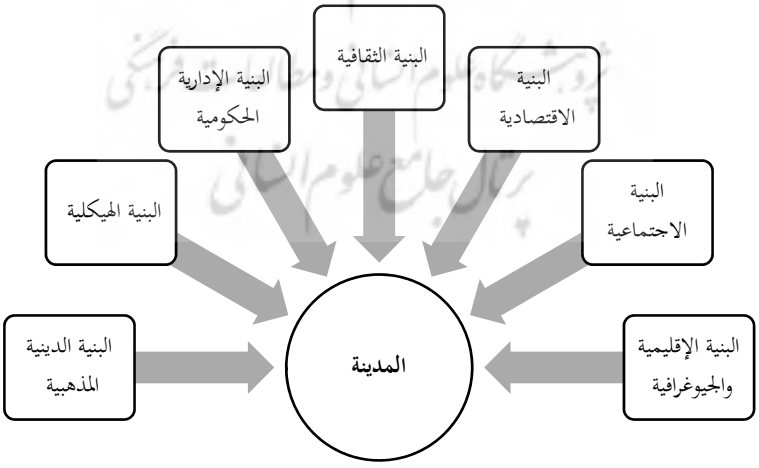

الصورة ٢: البنى السائدة على المدينة

دور الناس في هذه البنى أساسيّ و مصيريّ والبنى هذه تعتبر صدى من الرؤية الكونية، والدين، والاعتقادات والقيم والأفكار والسلوك وأسلوب الحياة للمواطنين عندئذ نشاهد أنّ الإنسان يؤثّر في تغيير صورة المدينة وباطنها. بعد دراسة آيات القرآن يتّضح أنّ المدينةتعتبرأرضيّةً مؤاتيةً للتطور البشريّفالقرآن يترك تأثيراً غيرمباشر على المدن ويضفي لونا وصورة خاصة عليها من خلال التأثير على الإنسان وأسلوب حياته ويمكن أن نعتبر هذا السبب من أسباب رئيسة لاختلاف بين صورة المدينة قبل العصر الإسلامي وبعده. ويمكن مشاهدة هذه الرؤية في عدد من الآيات التي ذكرت آنفا حيث إن القرآن الكريم عند الإشارة إلى مراكز النفوس يولي اهتماما بالغا لحقيقة وروح المدن وقلّما يمكن مشاهدة آيات تشير إلى الخصائص الظاهرية والشكلية وكيفية إدارة المدن.

الصورة ٣: تأثير الإنسان على البنى السائدة على المدن

وكل من هذه البنى تتغير طول الزمن وليس في المدن بل مدينة واحدة تشهد تغييرات وتطورات والبنى الثقافية والمدينة تكون أكثر ثباتا وتأثيرا من غيرها حيث تؤثّر على البنى الأخرى وتبيّن وتحدّد علاقة الإنسان مع البيئة والعالم أو ما صنعته يد البشر.

ومن هنا نرى أن المدينة والمدنيّة تتعلق بالإيمان وأعمال المواطنين أكثر من أي شيء آخر ويطلق على بيئة اسم المدينة عندما تؤتي الخير والسعادة للإنسان؛ وفي بيئة مثل هذا يجاهد المواطنون في سبيل الله ويعاونون المساكين والفقراء ويبتعدون عن الظلم والأعمال السيئة.

إنّ ما ينبغي الاهتمامبه هو ضرورة التأمل والتفكير في القرآن الكريم والمصادر الدينية الأخرى من قبل المسلمين وأخذ المبادئ والمعايير اللازمة من هذه المصادر الإلهية في سبيل تكوين المدن.ورداً على سؤال كيف يتم تقييم مكانة المدينة من وجهة نظر القرآن الكريم؟يجب أن نقول إنه بعد دراسة الآيات تبيَّن أن المدينة تعتبر أرضيةً مؤاتيةً للتطور البشري.كما أنّ القرآن الكريم وفي تلميحاته إلى المراكز السكانية يشير إلى باطن وروح المدينة والمواطنين والعلاقات الموجودة في المدينة أكثر من الخصائص الفيزيائية والظاهرية.

والمدينة والتحضر لهما علاقة مباشرة مع إيمان المواطنين وأفعالهم أكثر من أيّ شيء آخربحيث أن مواطنيها يسعون للجهاد في سبيل الله ومساعدة الفقراء وتجنب ممارسة الاضطهاد والأفعال القبيحة.

وينبغي أن يتم تخطيط مدينة مثل هذه كمدينة إسلامية تلبّي حاجات المواطنين المادية والمعنوية في عالمنا اليوم كما من شأنها أن تخدم المواطنين للرشد والتربية وتوجّههم في سبيل الكمال. ويجب أن تكون مدينة مثل هذه لها تخطيط شامل وجامع لإدارة وتحكيمٌ اقسام مختلفة وصولا إلى رسالتها كما ينبغي أن تحظي بتقنيات وآليات علمية حديثة. كما ذكرنا آنفا في خلفية البحث أنّ كثيراً من البحوث في حقل المدن بالعالم الإسلامي يقوم أساسها على الجوانب التأريخية والتقليدية ويذكر الباحثون تاريخ وماضي المدن في العالم الإسلامي بفخر ويرسمون لها نماذج وتصيمات وفي بحوث مثل هذا قلّما تنال المدن الجديدة في العالم الإسلامي اهتماما ويتصوّر الباحثون أنّ أسلمة المدن تتعلق بالقرون الخالية ولايمكن اليوم تصوير وترسيم المدن الإسلامية بينما أكّدنا أنّه في ضوء الإسلام والقرآن يتم التركيز على الجوانب الباطنية والداخلية والصفات الإنسانية للمدن أكثر من أي جانب آخر ولم يقيّدوها بزمن دون زمن وعند المراجعة إلى تاريخ المدن في العالم الإسلامي لا نرى تصميما ثابتا في حقل هندسة المدن والتخطيط المعماري وفي كل عصر هندسة وبناء المدن تتغير وتتطوّر متناسقة مع الصفات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

هذا وفي عالمنا اليوم في ضوء رأي القرآن يجب أن ندرك بأن المدينة لها مكانة رفيعة في مجال رشد الإنسان وتخطيطاً للمدينة يجب أن نولي اهتماما بالغا للجوانب الإنسانية والثقافية قبل كلّ شيء. والبناء الشكلي والفضائي للمدن الحديثة يجب أن تلبّي حاجات وعقائد وقيم الناس، وهذه ملاحظة تركت في هندسة المدينة الإسلامية والجوانب الشكلية والبنائية للمدينة وجدت اهتماما أكثر ويمكن القول أنّ أحد الأسباب لعدم تشكيل المدينة الإسلامية في عصرنا الراهن هو عدم التناسق بين حاجات الثقافة الإيرانية الإسلامية مع أجواء المدينة.

٤. النتائج

وفي سياق الهياكل المدنية التي ينظر إليها القرآن الكريم، فينبغي القول إنه بعد ملاحظة الآيات القرآنية وأحاديث المعصومين (عليه السلام) فإنّ القرآن الكريم والأحاديث يوليان اهتماماً خاصاً بعدة أوجه ومنها البناء الاقتصادي الذي يمكن اعتباره كحجر أساس لبناء مدينة إسلامية والخلل فيه من العوامل الرئيسة في تهديم المدن وهذا يدلّ على أهمية الجانب الاقتصادي. ولكن في هذه الأثناء، كما نرى أن في ضوء الثقافة الإسلامية و عنصر الاقتصاد والعمران للمدن علاقة وثيقة وهذا العنصر جعل المدينة في تاريخ العصر الإسلامي كمركز للانتاج والتجارة، والخدمات وكثر من المدن تشكّلت باسباب اقتصادية ولكن جدير بالذكر أن الازدهار الاقتصادي يجب أن يوفّر فرص العمل والرخاء في المجتمع وإن لايشارك المواطنون في ازدهار الاقتصاد للمدن لايمكن بناء مدينة إسلامية.

ومن العناصر الأخرى التي اهتمت بها المصادر الدينية اهتماما بالغا قضية الأمن وعلى البناة أن يسجّلوها على رأس أمورهم والأمن المنشود أمن جامع يشمل الحقول الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية، والثقافية، والنفسية و... وذلك أن كل مدينة يتم تخطيطها وبناءها بحيث يوفّر أفضية آمنة ومطمئنة لكل المواطنين.

ويجب الانتباه إلى أن هذا الأصل القرآني يكون موضع الاهتمام في هندسة وتخطيط المدن عند الاخصائيين في الدول المتقدّمة وفي عصرنا الراهن يحاول مهندسو تخطيط المدن أن يقوموا بتخطيط توظيفي وتصميم أفضية خاصة وهذه نقطة هامة لم يول الاخصائيون

في بلدنا اهتماما له في العشرات الاخيرة كما يستحق حيث كثير من أفضية المدن تواجه عوائق وتحديات حول الشكل والمقياس، والتنظيمات الفضائية والمقاومة، والرخاء البصري والبيئيّ ونوعية السكن، وتوظيف الأراضي، ومن الضروري أن نقوم بتأصيل قضية الأمن لبناء المدينة الإسلامية .

أما الجانب الآخر الذي اهتمت به المصادر الدينية فهو مسألة العدالة، حيث يتحتم على مهندسي المدن احترام جميع أنظمة المدينة وهياكلها وتوفير بيئة متساوية لجميع المواطنين. ومن منظور هندسة المدينة، العدالة هي أن الأعمال والخدمات تنتشر وتتوزع على جميع المواطنين بشكل مناسب وعادل، والحصول على مراكز الخدمة والعمل يبنى على أساس العدالة والتساوي بين المواطنين في مدينة أو منطقة.

وكذلك نشاهد أنّ هيكلية المدن التاريخية في العصر الإسلامي صمّمت بشكلٍ انشترت البيوت للأغنياء والفقراء جنبا إلى الجنب وهذا خير دليل على الالتزام بالعدالة في تصميم أفضية المدن الإسلامية.

هذا و ينبغي الإشارة إلى أن إنشاء مدينة إسلامية سيتحقق عندما تكون جميع الهياكل والأنظمة المكوّنة للمدينة، قائمةً على المبادئ والمعايير الخاصة بالدين الإسلامي الحنيف، تلبّي حاجات الإنسان الماديّة والمعنويّة في عالمنا اليوم وتتشكّل الأهداف والخطط بناءً على صلاح الحياة وتطور حياة المسلمين فإنّ الإنسان والثقافة الإسلامية هما العاملان الرئيسان في تشكيل المدن الإسلامية حيث لاتتابع هدفا إلّا إرضاء المواطنين وتمهيد أرضيّة مناسبة للتطوّر والتكامل.

الهوامش

١. ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(النحل/٨٩).

٢. ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(الإسراء /٧٢)

٣. ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(الأنعام/٥٩)

٤. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(البقرة،/ ١٤٣)

٥. (سورة الأعراف الآية ١٢٣ وسورة التوبة الآية ١٠١ و١٢٠ ويوسف٣٠ وحجر ٦٧ والكهف ١٩ و٨٢ و ...)، ولفظة "بلد" بثلاث طرق وخمس مرات و"البلاد" خمس مرات. (سورة آل عمران ١٩٦ والغافر ٤ والفجر ٨ والفجر ١١) كما وردت لفظة "القرية" في ثلاثة وعشرين آية أيضاً(سورة البقرة الآية ٢٥٩- سورة الأنعام الآية ١٢٣- سورة الأعراف الآية ٩٤- سورة يونس الآية ٩٨- سورة الحجر الآية ٤- سورة النحل الآية ١١٢- سورة الإسراء الآية ٥٨- سورة الكهف الآية ٧٧-سورة الأنبياء الآية ٦- سورة الأنبياء الآية ٩٥-سورة الحج الآية ٤٥-سورة الفرقان الآية ٥١- سورة النمل الآية ٣٤- سورة القصص الآية ٥٨-سورة سبأ الآية ٣٤- سورة الزخرف الآية ٢٣- سورة الطلاق الآية ٨

٦. (أنظرتفسيرالنور:هنالك أسس وقوانين ثابتة تحكم المجتمع بحيث يمكن على أساسها تحديد مصير الناس والمجتمعات.أجل، فالسنناالإلهيةثابتةولاتتغير باختلافالأعراقوالأفرادوالزمانوالمكان. والأهميةفيذكر القصص تعود إلى العبر المستفادة منها وليس اسم القرية أو العرق أواللغة أو الناس.«أصحابالقرية»(قرائتي،١٣٧٨: ٥٢٦))

٧. وَ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَ اسْتَنْصِحْهُ وَ أَحِلَّ حَلَالَهُ وَ حَرِّمْ حَرَامَهُ وَ صَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَ اعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً وَ آخِرَهَا لَاحِقٌ ...

٨. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٩. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبن بابويه، محمد بن علي، (١٣٨٢ش)، **الخصال**، ترجمة جعفري ، الطبعة الأولى، قم

إبـن خلـدون، عبـدالرحمن بـن محمـد،(١٣٩٠ش)، **مقدمـة ابـن خلـدون**، ترجمـة محمـد بـروين كنابـادى، طهران:المنشورات العلمية والثقافية.

إبنبابويه، محمد بن علي، (١٣٦٧ش)، **ترجمة من لا يحضره الفقيه** ، الطبعة الأولى، ج٢ ، طهران: بي‌نا

بـابلي يـزدي، محمدحسين وحسين رجبي سناجردي،(١٣٩٠ ش)،**نظريـه‌هـاى شـهر و پيرامـون**، طهـران: منشورات سمت.

باقري، أشرف السادات،(١٣٨٦ش)، **نظريه هايى درباره ى شهرهاى قلمرو فرهنگ اسلامى**، طهران: امير كبير.

بايـنده، ابو القاسـم، نهـج الفصـاحة ، (١٣٨٢ش)، (**مجموعـة الكلمـات القصـار عـن الرسـول صـلى الله عليه وآله**) الطبعة الرابعة، طهران: دنياي دانش

توسلى، محمود، ١٣٦٠،ساخت شهر و معمارى در اقليم گرم و خشک،تهران ،طهران: انشگاه تهران.

حكيمـي، محمدرضـا وحكيمـي، محمـد وحكيمي،علـى، (١٣٨٠ش)، **الحيـاة**، ترجمـة احمـد آرام ، الطبعـة الأولى، ج١، طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامى

شرح غرر الحكم ودرر الكلم،(١٣٦٦ش)، الشارح: آقا جمال الخوانساري، محمد بن حسين، التصحيح: محدث جلال الدين نويسنده، آمدي، عبدالواحدبن محمد، طهران: دانشگاه تهران.

عامري،حميدرضا،زند،صابر،(١٣٩٠ش)،**درآمدى بر شهرشناسى**،طهران: دانشگاه بيام نور.

غليجاني مقدم، نسرين، (١٣٨٦ش)،**تاريخ شناسى معمارى ايران**، طهران: دانشگاه تهران.

غـني‌زاده، مسـعود،(١٣٨٥ش)، **نگـاهى بـه شـهر در تمـدن اسـلامى**، منشـور راهـبرد يـاس، العـدد ٧، صص ١٩٧-٢١٠.

قرائتي، محسن، (١٣٨٧ش)، **تفسير النور**،طهران: منشورات المركز الثقافي لـ"دروس من القرآن الكريم".

قرائتي، محسن، (١٣٩٣ش)،**سيماى مسكن و شهرسازى اسلامى**، طهران:منشورات المركز الثقافي لـ"دروس من القرآن الكريم".

قزوينى، زكريا بن محمد،(١٣٧٣ش)، ،**آثار البلاد و اخبار العباد**،ترجمه ميرزا جهانگير، طهران: امير كبير.

لينش، كوين،(١٣٩٠ش)،**سيماى شهر**، ترجمه منوچهر مزينى، الطبع العاشر، طهران: دانشگاه تهران.

المجلسـى، العلامـة محمـد بـن بـاقر بـن محمـد تقـي، إصـفهان: المنشـورات الإسـلاميةمركز أبحـاث الكمبيـوتر في القامية.

المجلسي، محمـد بـاقر بـن محمـد تقي، (١٣٧٨ش)، **ايمـان و كفر(الإيمـان والكفـر)** (ترجمـة كتـاب الإيمـان والكفر بحار الأنوار المجلد ٦٤ ، ترجمة عطاردي ، الطبعة الأولى، ج ٢ ، طهران: عطارد

نقي زاده، محمـد، (١٣٨٩ش)،**تفكـر توحيـدى و سـازمان فضـايى شـهر در تمـدن اسـلامى، كتـاب مـاه هنر**، العدد ١٤٤، صص ٦٦-٧٩.

نقي‌زاده، محمد، (١٣٨٨ش)، **طرح کلی برنامه جامع احیای شهر اسلامی،کتاب ماه هنر**، دی، صص ٤-١٣.

نهج البلاغة، (١٣٨٤ش)ترجمة علي شيرواني،الطبعة الرابعة، قم:مؤسسة دارالعلم.

نهج البلاغة، (١٣٧٣ش)، ترجمةوشرح الحاج السيدعلي‌نقي فيض الاسلام، طهران:منشورات زرين.

Hourani, A.H 1970, the Islamic City in The light of Recent Research ,the Islamic City: a colloquium, A.H.Hourani and s.m.stern, university of Pennsylvania Press, Oxford.

Lapidus, I.M,1969,Middle Eastern Cities.London:University Of Calfornia Press.

Lapidus, I.M. 1967,Muslim Cities in later Middle ages, Massachusetts, Harvard university press Cambridge.

Morris,A.E.J 1994, History of Urban form : Before The Industrial Revolutions, Longman Scientific and Technical: wiley , New York.

Raymond ,A 1994 Islamic city ,arab city: Orintalist Myths and Recent Views, jstore. 21:3-21

Saleh,M.A.E.1998 ,The Impact of Islamic and Customary laws on Urban form Development in South –western Saudia Arabia, Habitant International.22:537-556

Stern,S.m,1970,The Islamic City,In:The Islamic City: Eds.,A.h.Hourani and S.M.Stern, ACollquium University of Pcnsylvania Press.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی